الشمائل المحمدية

اللقاء الرابع

هذا هو مجلسنا الرابع من مجالس الشمائل المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، نتدارس فيها طرفا من شمائله، أخلاقه، وهيئته، وصفاته، وأحواله، وسيرته، أقواله وأفعاله، بأبي وأمي ونفسي وأهلي ومالي هو عليه الصلام والسلام ، فلعل مجلسنا هذا أن يكون مليئا بالإكثار من الصلاة والسلام عليه، فنفوز بذلك أجرا و شرفا، وفخرا، بل نفوز بذلك حبا وشوقا إلى رسول الله -ﷺ- فهذه ساعة تخفق فيها القلوب حبا شوقا لرسول الله -ﷺ-، نحن نستعرض شيئا يجلب لنا الصلاة والسلام عليه -ﷺ-، لأننا نذكر الحبيب في مجالس الشمائل النبوية، وتذكر أوصافه، وتذكر أخلاقه عليه أفضل الصلاة والسلام، تذكر أقواله وأفعاله، تذكر هيئته ولباسه وطعامه وشرابه، يذكر فيها طرف يقرب اليك منظر النبي -ﷺ-، حتى لكأننا نراه-ﷺ-.

في الدروس السابقة تعرضنا إلى باب ما جاء في خلق رسول -ﷺ- من كتاب الشمائل للترمذي، تعرضنا لبضعة أحاديث فيها وصف مجمل لهيئته ووصفه -ﷺ-، وهي دعوة للمسلمين لأن يعمروا قلوبهم بحب صادق له -ﷺ-، لأن المحب إذا ملأ قلبه حبا لمحبه واعتنى به وجعل يرويه ويسقيه وينميه، فلن تجده إلا من خير إلى خير من هذا الحب ولن تجده إلا من هدي الى هدي وشوقا الى لقياه، حق على كل مسلم ومسلمة أن يكون قلبه عامرا مليئا فائضا بحب النبي -ﷺ-.

دراسة الشمائل والوقوف على أوصاف هيئته -ﷺ- باب عظيم يعين التماس ذلك المقصد الكبير -محبة النبي-ﷺ-، من استأنس سمعه وقلبه وبصره بأوصاف المصطفى -ﷺ-، وفيها من الجمال أكمله ومن الجلال أعظمه ومن الهيبة والوقار ابهاه واسناه، والله لن يجد قلبه إلا ممتلئا بحبه -ﷺ- وعند إذن ستتهاوى كل الصور الزائفة التي تعلقت بها قلوب بعضنا اليوم، وعندها ستزول كل أنواع الحب والعشق والافتتان بالجمال الذي صرفت فيه قلوب بعض المسلمين على لاشي والله المستعان، والله من تعلق قلبه مفتتناً بجمال جميل وبحسن صورة حسنة، فإنه سيتنازل عنها لا محالة إذا وقف على حقيقة جماله -ﷺ- إنه الجمال الباهر الفخامة والبهاء والجلال التي ستملأ القلب حبا يقود إلى محبة وطاعة وصدق في الاستنان ولاشك.

3- باب ما جاء في شعر رسول الله -ﷺ-.

هذه الترجمة لبيان ما يتعلق بشعر رسول الله -ﷺ-من حيث طوله، ومن حيث تسريحه والعناية به.

يقال: شعر بفتح العين، وشعر بإسكانها.

24- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نِصْفِ أُذُنَيْهِ". أخرجه مسلم 2338 "

في هذا الحديث أن شعره -ﷺ- كان يبلغ إلى نصف الأذنين، وجاء في بعض الأحاديث أن شعره كان جمة؛ وهي ما يضرب الكتف من الشعر. فمن أهل العلم من قال: إن هذا راجع لاختلاف الأحوال، فمن رأى النبي -ﷺ- وقد طال شعره إلى أن بلغ الكتف وصفه بأنه جمة، ومن رآه دون ذلك وصفه بما رأى.

ولهذا قال الإمام ابن كثير رحمه الله في " البداية والنهاية 6/ 23 " لما ساق الأحاديث في الباب: " ولا منافاة بين الحالين؛ فإن الشعر تارة يطول، وتارة يقصر منه فكل حكى بحسب ما رأى ".

25- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ لَهُ شَعْرٌ فَوْقَ الْجُمَّةِ وَدُونَ الْوَفْرَةِ" أخرجه المصنف في " جامعه 1755 ثم قال: " هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

- قولها رضي الله عنها: " كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ " فيه دليل على جواز اغتسال الزوجين من إناء واحد. حُسْنُ أخْلاقِه -ﷺ- مع أهْلِه ولُطفُ مُعاشَرَتِه.

- وقولها: " وَكَانَ لَهُ شَعْرٌ فَوْقَ الْجُمَّةِ وَدُونَ الْوَفْرَةِ " الوصف هنا محل الشعر لا باعتبار ذاته، والمعنى أن شعره -ﷺ- كان أنزل من الوفرة، وأعلى من الجمة، فمثل هذا يقال له لمة، وقد سبق أن كلا من الصحابة رضي الله عنهم وصف شعره -ﷺ- بحسب ما رأى.

26- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمِنْكَبَيْنِ، وَكَانَتْ جُمَّتُهُ تَضْرِبُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ.

27- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَيْفَ كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ وَلاَ بِالسَّبْطِ، كَانَ يَبْلُغُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ " أخرجه البخاري 5905، ومسلم 2338 "

- موضع الشاهد في حديث البراء بن عازب: " وَكَانَتْ جُمَّتُهُ تَضْرِبُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ"، والجمة كما سبق هي ما وصل إلى المنكبين، فتكون " جمته " هنا بمعنى شعره.

- أما حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما؛ ففيه " كَانَ يَبْلُغُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ "، وهو وصف لشعره -ﷺ- في بعض أحواله.

28- عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَدْمَةً وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ". أخرجه المصنف في جامعه 1781 ثم قال: " هذا حديث حسن غريب، قال محمد . يعني الإمام البخاري لا أعرف لمجاهد سماعا من أم هانئ "، كان سماعه منها ممكن؛ لأن مجاهدا رحمه الله ولد سنة إحدى وعشرين، وهو مكي، وأم هانئ كذلك مكية، وجاء في ترجمتها أنها عاشت بعد وفاة على رضي الله عنه دهرا، ووفاة علي في سنة أربعين، فالسماع إذا ممكن ".

- أم هانئ رضي الله عنها شقيقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقولها: " قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَكَّةَ " أي: جاءنا رسول الله -ﷺ- في مكة، " قَدْمَةً " مرة " وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ" الغدائر هي ضفائر الشعر، ويقال لها أيضا: عقائص.

قال ابن القيم رحمه الله: " كان -ﷺ- أولا يسدل شعره ثم فرقه، والفرق أن يجعل شعره فرقتين؛ كل فرقة ذؤابة، والسدل أن يسدله من ورائه ولا يجعله فرقتين " زاد المعاد 1/ 175 ".

29- عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ شَعْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ.

30- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُسْدِلُ شَعْرَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يُسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ" أخرجه البخاري 3588، ومسلم 2336 ".

- قوله: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُسْدِلُ شَعْرَهُ" بضم الدال وكسرها، أي: بتركه مرسلا على حاله، وقوله: " وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُءُوسَهُمْ " فرق الرأس هو أن يقسم شعر الرأس من وسطه إلى نصفين؛ أحدهما إلى جهة اليمين، والآخر إلى جهة اليسار.

- قوله: " وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يُسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ " لأن أهل الكتاب لديهم كتاب سماوي من حيث الجملة، فيحتمل أن يوافق بعض أعمالهم ما جاء في كتبهم، بخلاف المشركين؛ فإن دينهم برمته دين حادث ونابت من أفكار الناس وتخرصاتهم.

- قوله: " ثم فرق رسول الله -ﷺ- رأسه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " كان الفرق آخر الأمرين " فتح الباري 10/ 362 " من فعله -ﷺ-.

31- عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَا ضَفَائِرَ أَرْبَعٍ.

- تقدم هذا الحديث وسبق ذكر ما يتعلق به.

فائدة: سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن إطالة شعر الرأس وتوفيه: هل هو من السنة أم لا؟ فقال: " الجواب: لا ليس من السنة؛ لأن النبي -ﷺ- اتخذه حيث إن الناس في ذلك الوقت يتخذونه، ولهذا لما رأى صبيا حلق بعض رأسه قال: "احلِقُوه كلَّه أو اترُكوه كلَّه"، ولو كان الشعر مما ينبغي اتخاذه لقال: أبقه. وعلى هذا فنقول: اتخاذ الشعر ليس من السنة؛ لكن إن كان الناس يعتادون ذلك فافعل، وإلا فافعل ما يعتاده الناس؛ لأن السنة قد تكون سنة بعينها، وقد تكون سنة بجنسها.

فمثلا : الألبسة إن لم تكن محرمة ، والهيئات إن لم تكن محرمة السنة فيها اتباع ما عليه الناس ؛ لأن النبي -ﷺ- فعلها اتباعا لعادة الناس ، فنقول : الآن جرت عادة الناس أن لا يتخذ الشعر ، ولذلك علماؤنا الكبار أول ما نذكر من العلماء الكبار شيخنا عبد الرحمن بن سعدي ، كذلك شيخنا عبد العزيز بن باز ، وكذلك المشايخ الآخرون ؛ كالشيخ محمد بن إبراهيم وإخوانه ، وغيره من كبار العلماء لا يتخذون الشعر ؛ لأنهم لا يرون أن هذا سنة ، ونحن نعلم أنهم لو رأوا أن هذا سنة لكانوا من أشد الناس تحريا لاتباع السنة ، فالصواب أنه تبع لعادة الناس ؛ إن كنت في مكان يعتاد الناس فيه اتخاذ الشعر فاتخذه ، وإلا فلا " لقاء الباب المفتوح

" من تشبَّهَ بقومٍ فهوَ منهم " صحيح أبي داود "، وأيضا " لَعَنَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ، " أخرجه البخاري 5885 من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه ". ومع هذا فبعض الشباب قد يربي شعره ويطيله، ويكون في تسريحه له مثل المرأة تماما، وربما استعار بعض أدوات أخته التي تضعها في شعرها ليجعلها في شعره، كالماسكات للشعر، فيكون مثل أخته تماما، لا سيما أنه يحلق لحيته تماما، بل ينتفها، ويستعير من أخته أيضا الأشياء التي تضفي على خده نوعا من الحمرة، وبعضهم ربما تشبه بالكفار في قصة الشعر أو لونه، وهذه مصيبة عظيمة، وربما غالط بعض هؤلاء وقال: توفي الشعر سنة، مع تفريطه ربما بالصلاة المفروضة، والله المستعان.

❍فقدنا كثير من معاني الرّجولة والمروءة اللاتي كانت معروفة عند العرب، والتي كانت صبغة رسول الله -ﷺ- وأصحابه الكرام؛ كالشّجاعة، والنّجدة، ونصرة المظلوم، والوفاء، الكرم، وردّ الإحسان، والعفو مع المقدرة، والغيرة على الأعراض، وأصبحنا نرى أشباه الرجال، يقلدون الضالين والمغضوب عليهم، في كل شيء، حتى لو دخلوا جحرَ ضبٍّ لدخلوه، حتى رأينا بين أظهرنا عبدة الشياطين، والشواذ، والساقطين، والملحدين بصور حديثة لا تخطر على بال....

❍في دار من دور المدينة، جلس عمر—رضي الله عنه- إلى جماعةٍ من أصحابه فقال لهم: "تمنوا"؛ فقال أحدهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهبًا أنفقه في سبيل الله، ثم قال آخر: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجدًا وجوهرًا أنفقه في سبيل الله وأتصدق به، فقال عمر: ولكني أتمنى رجالاً مثلَ أبي عبيدة بنِ الجراح، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله.

❍كم من رجلٍ أعزُّ من المعدن النفيس، وأغلى من الجوهر الثمين، حتى قال رسول الله -ﷺ-" إنَّما النَّاسُ كإبلٍ مائةٍ، لا تَكادُ تجدُ فيها راحِلةً " رواه البخاري.

إن الرجل الواحد قد ينصر الله به الدين، ويقلب به الموازين، وفي القرآن الكريم في قصة موسى حين قتل القبطيَّ: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) [يس:20]، وفي سورة يس في قصة أصحاب القرية: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) [يس:20].

الرجل الأول أنقذ الله به وبرأيه نبيَّه وكليمَه موسى، حينما أحاطه علمًا بالمؤامرة الدنيئة التي يحيكها القصر الفرعوني للقضاء عليه وعلى دعوته، وأما الثاني، فرجل مؤمن يعلن أمام الملأ نصرة المرسلين، ويدعو إلى اتباعهم، متحدياً رؤوس الضلالة، صارخًا به في وجه الجماهير.

إن رجلاً واحدًا قد يساوي شعبًا بأسره، وقد قيل: رجل ذو همةٍ يحيي أمة.

لما حاصر خالد بن الوليد –رضي الله عنه– الحِيرة طلب من أبي بكر المدد، فما أمده إلا برجل واحد هو القعقاع بن عمرو –رضي الله عنه–، وقال: "لا يهزم جيش فيه مثله" وكان يقول: "لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف مقاتل".

ولما طلب عمرو بن العاص –رضي الله عنه– المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في فتح مصر كتب إليه: "أما بعد: فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف: رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد".

وما أحوج الأمة اليوم إلى صناعة الرجال.

4– باب ما جاء في ترجل رسول الله –ﷺ–

عقد المصنف رحمه الله هذه الترجمة لبيان ما يتعلق بترجل النبي –ﷺ–، والترجل هو تسريح الشعر، وتنظيفه، والعناية به.

كان هديه –ﷺ– في هذا الباب وفي سائر الأبواب وسطا، فليس حاله كمن همه شعره فيقضي في تسريحه وإصلاحه أوقاتا طويلة، ولا كحال من يهمل شعره ولا يعتني به ألبتة، وإنما كان وسطا دون إفراط أو تفريط.

32– عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا حَائِضٌ". أخرجه البخاري 295 ومسلم 297 ".

–في هذا الحدث دليل على جواز ترجيل المرأة رأس زوجها ولو كانت حائضا، كما يدل على جواز ملامسة الحائض لزوجها، وملامسته لها، وأن جسم الحائض ليس بنجس.

–حُسنُ عِشرةِ النبيِّ –ﷺ– ومُراعاتُه لأحوالِ زَوجاتِه في الحَيضِ، ومُخالطتُه لهنَّ وعدَمُ اعتِزالِهنَّ كما فعَلَتْ بنو إسرائيلَ.

33– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ دَهْنَ رَأْسِهِ وَتَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ، وَيُكْثِرُ الْقِنَاعَ حَتَّى كَأَنَّ ثَوْبَهُ ثَوْبُ زَيَّاتٍ" إسناده ضعيف؛ فيه الربيع بن صبيح، وهو صدوق سيئ الحفظ، قال الإمام ابن حبان: " كان عابدا، ولم يكن الحديث من صناعته؛ فوقع في حديثه المناكير من حيث لا يشعر "

– قوله: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ دَهْنَ رَأْسِهِ وَتَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ" أي أنه –ﷺ– كان يكثر من استعمال الدهن لشعر رأسه عند تسريحه له، ويسرح كذلك لحيته.

- قوله: " وَيُكْثِرُ الْقِنَاعَ " القناع خرقة توضع على الرأس عندما يدهن الشعر بالزيت لتحمى الثياب من الزيت، فكان النبي -ﷺ- يكثر القناع لكثرة دهن رأسه بالزيت.

- قوله : " حَتَّى كَأَنَّ ثَوْبَهُ ثَوْبُ زَيَّاتٍ" الزيات هو الذي يشتغل بالزيت دائما ، فمثله تكون على ثيابه بقع ، وآثار من الزيت ، وهذا المعنى فيه نكارة ، قال ابن كثير : لما ذكر الحديث : " فيه غرابة ونكارة " ، فمن النكارة فيه : لفظ " كأن ثوبه ثوب زيات " هذه صفة -ﷺ- ينكرها على من يراها عليه ؛ فقد روى أبوداود : في سننه وعن جابر بن عبد الله أتانا رسولُ اللهِ -ﷺ- زائرًا في منزلِنا فرأى رجلًا شَعِثًا قد تفرَّقَ شعرُه فقال أما كان يَجِدُ هذا ما يُسَكِّنُ به شعرَه ورأى رجلًا آخرَ وعليه ثيابٌ وَسِخَةٌ فقال أما كان هذا يجدُ ماءً يغسلُ به ثوبَه". السلسلة الصحيحة

الإسلامُ دِينٌ يَدْعو إلى النَّظافةِ والجَمالِ، ودائمًا ما كان النَّبيُّ -ﷺ- يتَفقَّدُ أصحابَه ويُرشِدُهم إلى ما فيه جَمالُ هَيئتِهم وحُسنُ مَظهَرِهم. وهذا دعوةٌ منه -ﷺ- أنَّ مَن له شعرٌ فَلْيهتَمَّ بغَسْلِه وتَمشيطِه ودِهانِه ونَحوِ ذلك. وهذا دعوةٌ منه -ﷺ- أن يَهتَمَّ الإنسانُ بنَظافةِ مَلبَسِه، وأن يتَعهَّدَه بالغَسْلِ والطِّيبِ وما شابَه.

34- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ، وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ، وَفِي انْتِعَالِهِ إِذَا انْتَعَلَ. أورد الإمام البخاري رحمه الله هذا الحديث في صحيحه " ح 168 " وزاد " وفي شأنه كله ".

- قولها: " إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لَيُحِبُّ التَّيَمُّنَ " أي أن النبي -ﷺ- كان يحب البدء باليمين، قولها: " فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ " أي: إذا أراد أن يتوضأ يبدأ باليمين؛ فيغسل اليد اليمنى قبل اليسرى، وكذلك يغسل الرجل اليمنى قبل اليسرى.

- قولها: " وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ " أي: إذا رجل شعر رأسه بدأ بالشق الأيمن قبل الأيسر، وكذلك يبدأ بالشق الأيمن عندما يدهن الرأس.

- قولها:" وَفِي انْتِعَالِهِ إِذَا انْتَعَلَ " أي: إذا أراد -ﷺ- أن يلبس نعليه بدأ بالقدم اليمنى قبل اليسرى.

وكذلك الشأن في كل ما كان من باب التكريم؛ كدخول المسجد، والأكل والشرب، والمصافحة، والأخذ والإعطاء، ولبس الثوب، وفي ضد ذلك يقدم اليسار؛ كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والامتخاط، وأشباه ذلك.

35- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ التَّرَجُّلِ إِلَّا غِبًّا" أخرجه المصنف في " جامعه " 1756 وفي إسناده الحسن، وقد عنعن. السلسلة الصحيحة

- قوله: " نَهَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عنِ التَّرَجُّلِ إِلَّا غِبًّا " أي: إلا حينا من بعد حين، فلا يجوز للإنسان أن يجعل الترجل شغله الشاغل، وإنما يكون وسطا؛ فلا يهمله بالكلية، ولا يجعله أيضا ديدنه.

36- عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَرَجَّلُ غِبًّا ". في إسناده يزيد بن أبي خالد، وهو صدوق يخطئ كثيرا، لكن الحديث صحيح بشواهده ".

- قوله: " عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- " جهالة الصحابي لا تضر؛ لأنهم كلهم رضي الله عنهم عدول، وقوله:"كَانَ يَتَرَجَّلُ غِبًّا " أي: كان النبي -ﷺ- يترجل حينا، ويترك حينا؛ فلا يواظب عليه، ولا يهمله.

5- باب ما جاء في شيب رسول الله -ﷺ-.

هذا الباب نظير الأبواب التي قبله متعلق بصفة النبي -ﷺ- الخَلقية، والشيب هو تحول لون الشعر من لونه الأصلي السواد أو غيره إلى البياض، وقد عقد المصنف رحمه الله هذه الترجمة لبيان ما يتعلق بشيب رسول الله -ﷺ-؛ هل وجد في شعر رأسه أو لحيته شيب؟ وما مقدار ذلك؟

والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة وقد ساق المصنف رحمه الله بعضها في هذا الباب أن الشيب الذي وجد في شعر رسول الله -ﷺ- شيء يسير جدا، ونبذ قليلة في ثلاثة مواضع، أشار إليها أنس رضي الله عنه؛ حيث قال: " لم يختضب رسول الله -ﷺ-، إنما كان البياض في عنفقته، وفي الصدغين، وفي الرأس نبذ " أخرجه مسلم 2341 "، الصدغ هو ما بين العين والأذن، والعنفقة هي ما بين الذقن والشفة السفلى.

37- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ شَيْبًا فِي صُدْغَيْهِ وَلَكِنْ أَبُو بَكْرٍ، خَضَبَ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ" أخرجه البخاري 3550، بلفظ " شيء " مكان " شيبا "، ودون قوله: " ولكن أبو بكر ... "، وكذا أخرجه مسلم 2341 من طريق ابن سيرين، عن أنس رضي الله عنه، وفي آخره: " وقد خضب أبو بكر وعمر بالحناء والكتم "؛ فأضاف عمر ".

- قول قتادة لأنس رضي الله عنه: " هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-؟ " أي: هل حصل أن استعمل رسول الله -ﷺ- الخضاب؟ والخضاب هو تغيير لون الشيب بالحناء وبالكتم، أو نحو ذلك.

- قول أنس رضي الله عنه:": لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ " أي: ما وجد من شيبه -ﷺ-شيء يسير جدا لا يبلغ أن يخضبه صاحبه بالحناء والكتم.

- قوله: "إِنَّمَا كَانَ شَيْبًا فِي صُدْغَيْهِ" أي: إنما كان شيبه -ﷺ- شيبا يسيرا في صدغيه، وتقدم في حديث أنس رضي الله عنه المواضع الثلاثة التي كان فيها شيبه -ﷺ-.

- قوله: " وَلَكِنْ أَبُو بَكْرٍ، خَضَبَ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ" أي: غير أبو بكر رضي الله عنه الشيب الذي كان فيه بالحناء والكتم، وهما شجرتان معروفتان تستعملان في الصبغ وتغيير اللون؛ فالحناء يغير الشيب إلى الحمرة، والكتم يغيره إلى السواد، فإذا جمع بينهما بأن يضع قدرا من الحناء وقدرا من الكتم كما ورد في

هذا الحديث وغيره تغير لون الشيب إلى لون وسط بين السواد والحمرة، فلا يكون أسود خالصا، وقد ورد النهي عن التغيير بالسواد، ولا يكون كذلك أحمر صرفا، وإنما يكون بين ذلك.

قال النبي -ﷺ-: " إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" متفق عليه.

وفي هذا الحديث نفي أنس رضي الله عنه أن يكون النبي -ﷺ- قد خضب شعر رأسه أو لحيته، وستأتي الإشارة إلى خلاف الصحابة رضي الله عنهم في ذلك.

38- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا عَدَدْتُ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِحْيَتِهِ إِلَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ ". أخرجه أحمد في المسند 12690 ".

- في هذا الحديث يخبر أنس رضي الله عنه أن الشيب الذي وجد في شعر رأسه -ﷺ-، ولحيته شيء يسير جدا، بلغ عدده أربع عشرة شعرة وجاء في الصحيحين " البخاري 5900 ومسلم 2347 "؛ من طريق ربيع بن أبي عبد الرحمن، عن أنس رضي الله عنه أنه قال: " توفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء " أي: لا يبلغ عدد الشيب الذي كان في رأس رسول الله -ﷺ-، ولحيته عشرين شعرة، وهذا العدد يعتبر عددا يسيرا جدا، ولهذا قال أنس رضي الله عنه فيما تقدم: " لم يبلغ ذلك " أي: لم يبلغ عدده الحاجة إلى الخضاب لقلته.

39- عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ شَيْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: كَانَ إِذَا دَهَنَ رَأْسَهُ لَمْ يُرَ مِنْهُ شَيْبٌ، وَإِذَا لَمْ يَدْهِنْ رُئِيَ مِنْهُ" أخرجه مسلم 2344 ".

- قوله: " كَانَ إِذَا دَهَنَ رَأْسَهُ لَمْ يُرَ مِنْهُ شَيْبٌ " أي: أن الشيب يختفي مع وجود الدهن؛ فلا يتبين لقلته، " وَإِذَا لَمْ يَدْهِنْ رُئِيَ مِنْهُ ".

وهذا الحديث يدل على ما دل عليه حديث أنس السابق، من أن الشيب الذي كان في شعر لحية رسول الله -ﷺ- ورأسه شعرات يسيرة، لا تبلغ عشرين شعرة، فكان إذا دهن لحيته، أو رأسه اختفى لقلته.

40- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ شَيْبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ" في إسناده شريك القاض، وفي حفظه كلام معروف، لكن يشهد له حديث أنس المتقدم، ولا سيما ما جاء في الصحيحين من أنه -ﷺ- " توفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ".

- فيه أن شيب النبي -ﷺ- كان " نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ" أي قريبا منه، وهو يتفق تماما مع حديثي أنس وجابر المتقدمين.

41- عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ شِبْتَ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلاَتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ.

42- عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَاكَ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: قَدْ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا " أخرجه المصنف في جامعه 3297.

- الشاهد من الحديثين قوله -ﷺ-: " شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت "، وقوله -ﷺ- " شيبتني هود وأخواتها " أي: أخواتها من سور القرآن التي فيها ذكر لأهوال يوم القيامة وشدائده، فهذه السور المذكورة فيها وصف لأهوال ذلك اليوم، ولذلك جاء عن النبي -ﷺ- أنه قال: " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" و " إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ " إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ " " أخرجه المصنف في جامعه 3333. " لأن هذه السور تصف تلك الأهوال والشدائد العظيمة التي سيلقاها الناس في ذلك اليوم.

فالشيب اليسير الذي وجد في شعره -ﷺ- لم يكن لاهتمام بأمور الدنيا، أو فوات مصالحها، أو تعلق بها، أو رغبة في المزيد منها، أو نحو ذلك مما هو الحال لدى كثير من الناس ممن يحصل له الشيب بهذا السبب، بل كان اهتماما لأمر الآخرة.

- قوله: " قَدْ شِبْتَ " أي: ظهر الشيب في شعرك، والمراد هو السؤال عن سبب ذلك.

- قوله: " قَدْ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا " أي: أن سبب هذا الشيب إنما هو الاهتمام باليوم الآخر وفيه بيان لعظم أثر القرآن، وكبر منفعته لمن تدبره، وعقل معانيه، وعرف دلالاته، فمن فعل ذلك حصل له الأثر البالغ في صلاحه، وزكاته، وفلاحه في دنياه وأخراه.

فمن تدبر القرآن حق تدبره؛ ربطه باليوم الآخر، وصرف اهتمامه وعنايته لذلك اليوم العظيم، دون تفويت لمصالحه الدنيوية، ولهذا كان من دعائه -ﷺ-: " اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا " أخرجه المصنف في جامعه 3502 من حديث ابن عمر رضي الله عنهما " وهذا يفيد أن الإنسان لا بأس أن يهتم بدنياه ومصالحه ومعاشه وحاجاته وحاجات أولاده، لكن الخطأ أن تطغى اهتماماته الدنيوية على الأمر الذي خلق لأجله وهو توحيد الله تعالى، والاستعداد للقائه، والتزود ليوم المعاد.

ونستفيد منه أيضا أن القرآن طب للقلوب، وشفاء للنفوس، وصلاح للأحوال، فكلما كان للعبد عناية بالقرآن تدبرا وتأملا لمعانيه ودلالاته أوجد فيه صلة بالله واهتماما باليوم الآخر، واستعدادا وتهيئا وتزودا لذلك اليوم العظيم، ومن آخر ما نزل على نبينا -ﷺ- قول الله تعالى: " وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ" [سورة البقرة: 281].

فمن تدبر القرآن حق تدبره أورثه التقوى والتزود ليوم الميعاد والاستعداد له، بخلاف حال من شغلته الدنيا؛ فأصبحت أكبر همه، ومبلغ علمه فيشيب من أجلها، ولأجلها يمرض ويغتم ويهتم فيصدق عليه قوله -ﷺ-: " تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإِذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ " أخرجه البخاري 2886 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه "

أَشْقَى النَّاسِ مَنِ اتَّخَذَ إلهَه هَواهُ وشَهوَتَه، فيَكونُ عَمَلُه كُلُّه لِتَحصيلِ هذه الشَّهوةِ وطَلَبِها؛ فهو تارِكٌ مَا خُلِقَ لِأجْلِه، وهو عِبادةُ اللهِ تَعالى، مُتمَسِّكٌ بتَحصيلِ شَهَواتِه بغَيرِ رِضا اللهِ تَعالى، فهو مُضَيِّعٌ لِآخِرَتِه بدُنياه. وأسعَدُ الناسِ مَن عاشَ للهِ عَزَّ وجَلَّ، طالِبًا رِضاه، وما أعَدَّه سُبحانَه لِلصَّالِحِينَ مِن عِبادِه.

43- عَنْ أَبِي رِمْثَةَ التَّيْمِيِّ، تَيْمِ الرَّبَابِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ-وَمَعِي ابْنٌ لِي، قَالَ: فَأَرَيْتُهُ، فَقُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ: هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ، وَلَهُ شَعْرٌ قَدْ عَلاَهُ الشَّيْبُ، وَشَيْبُهُ أَحْمَرُ". في إسناده شعيب بن صفوان، قال عنه الحافظ في " التقريب": " مقبول " والمقبول لا يحتج بحديثه إلا إذا وجد له متابع، ولم يوجد له متابع، بل وجد له مخالفون، ويقوي هذا أن بعض رواياته كما سيأتي ليس فيه لفظ " قد علاه الشيب ".

- قول أَبِي رِمْثَةَ التَّيْمِيِّ -رضي الله عنه-: " أَتَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- وَمَعِي ابْنٌ لِي، قَالَ: فَأَرَيْتُهُ -ﷺ-، قد يكون هذا المجيء أول مجيء له إلى النبي -ﷺ-؛ فلم يكن يعرفه فسأل عنه، فقال لما رآه: " هذا نبي الله -ﷺ- " يتحقق، " وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ " مثل إزار ورداء، ولا يلزم من قوله: " أخضران " الأخضر الخالص، وإنما قد تكون خضرة من سواد، مثل البرود اليمانية.

- قوله: " وَلَهُ شَعْرٌ قَدْ عَلاَهُ الشَّيْبُ " هذا موضع الشاهد من الحديث، وفيه احتمالان:

أحدهما: يحتمل أن يكون المراد وصف شيبه -ﷺ-بالكثرة، فإن كان كذلك فهو مخالف للأحاديث السابقة المفيدة قلة شيبه -ﷺ-.

والثاني: أن يكون المراد وجود الشيب، فإن كان كذلك فهو يتفق مع الأحاديث المتقدمة في بيان قلة شيبه، وهو الأولى.

- قوله: " وَشَيْبُهُ أَحْمَرُ" هل هذه الحمرة من آثار الخضاب؟ أو من آثار الدهن؟ قد سبق من الأحاديث ما يشهد للثاني في قول جابر رضي الله عنه: "كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيب، وإذا لم يدهن رئي منه ".

44- عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قِيلَ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكَانَ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْبٌ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْبٌ إِلَّا شَعَرَاتٌ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، إِذَا ادَّهَنَ وَارَاهُنَّ الدُّهْنُ ".

- ختم المصنف رحمه الله هذه الترجمة بهذا الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه سأله سماك بن حرب قائلا: " أكان في رأس رسول الله -ﷺ- شيب "؟ يعني: هل كان في شعر رأسه شيب؟ فأجابه جابر رضي الله عنه يقوله: " لم يكن في رأس رسول الله -ﷺ- شيب إلا شعرات في مفرق رأسه "، وهذا المعنى يتفق تماما مع ما سبق من قول أنس -رضي الله عنه-: " إنما كان البياض في عنفقته، وفي الصدغين، وفي الرأس نبذ " يعني: شيء يسير جدا.

- قوله: " إِذَا ادَّهَنَ وَارَاهُنَّ الدُّهْنُ " يعني: من قلتهن أنه -ﷺ-إذا دهن رأسه بزيت أطيب أو نحو ذلك لم يتبين الشيب، بل يختفي مع الدهن.

فائدة: وصف الصحابة رضي الله عنهم لشيب النبي -ﷺ- الذي في رأسه دليل على أنه -ﷺ- كان يحسر عن رأسه أحيانا؛ بل إنه قد يكون واجبا كمن أراد أن يمسح على رأسه أثناء الوضوء؛ إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وكذلك في الحج حال الإحرام.

* فائدة أخرى: الشيب نذير لصاحبه، ومؤذن بدنو الأجل، قال الشاعر " العمر والشيب لابن أبي الدنيا 62 ": ألا فامهد لنفسك قبل موت فإن الشيب تمهيد الحمام

وقد جد الرحيل فكن مجدا بحط الرحل في دار المقام

نسأل الله طيب العمل وحسن الختام.

6- باب ما جاء في خضاب رسول الله -ﷺ-.

عقد الإمام الترمذي رحمه الله هذه الترجمة لبيان خضاب الرسول -ﷺ- من حيث ثبوته وعدمه، والخضاب كما سبق هو تغيير بياض الشيب بالحناء والكتم، أو بالحناء فقط. وقد اختلف الصحابة في خضابه -ﷺ- كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه " زاد المعاد " 1/ 176. . فقال أنس: لم يخضب، وقال أبو هريرة: خضب، وقالت طائفة: كان رسول الله -ﷺ-مما يكثر من الطيب قد احمر شعره؛ فكان يظن مخضوبا ولم يخضب هذا حاصل ما قيل في هذه المسألة.

45- عَنِ إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو رِمْثَةَ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ ابْنٍ لِي، فَقَالَ: ابْنُكَ هَذَا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ أَشْهَدُ بِهِ، قَالَ: لاَ يَجْنِي عَلَيْكَ، وَلاَ تَجْنِي عَلَيْهِ قَالَ: وَرَأَيْتُ الشَّيْبَ أَحْمَرَ " أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته على المسند 7113.

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا أَحْسَنُ شَيْءٍ رُوِيَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَأَفْسَرُ؛ لِأَنَّ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَبْلُغِ الشَّيْبَ.

وَأَبُو رِمْثَةَ اسْمُهُ: رِفَاعَةُ بْنُ يَثْرِبِيّ التَّيْمِيُّ.

- بدأ المصنف رحمه الله بحديث أبي رمثة رضي الله عنه قال : " أتيت رسول الله -ﷺ- مع ابن لي " ؛ وفي هذه الجملة فائدة وهي اصطحاب الآباء أبناءهم إلى مجالس الخير ، فإذا كان الأب بصدد الذهاب إلى مجلس علم ، أو زيارة عالم ، أو نحو ذلك فليصطحب أبناءه إن أمكن ؛ فإن في ذلك تربية وتنشئة لهم على حب أهل العلم ، وحب مجالس العلم ، والارتباط بها ، والإفادة منها ، ويتأكد هذا الأمر في زماننا هذا الذي كثرت فيه وسائل الضياع وأسباب الانحراف، وأصبحت الشهوات والشبهات تتلقف أبناء المسلمين، فاصطحابهم إلى مجالس العلم بالرفق والحسنى والتشجيع ، وتحبيب مجالس الخير إليهم نافع جدا في تربيتهم وتأديبهم .

- قوله: فَقَالَ: ابْنُكَ هَذَا؟ " سأل النبي -ﷺ- أبا رمثة رضي الله عنه: هل هذا ابنك؟ " فَقُلْتُ: نَعَمْ أَشْهَدُ بِهِ" أي: نعم أقر بأنه ابني؛ وإما قاله تأكيدا.

- قوله -ﷺ-: " لا يجني عليك ولا تجني عليه " يعني: إن حصل منه جناية؛ فجنايته على نفسه، وإن حصلت منك جناية؛ فجنايتك عليك، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ، وفيه قطع لدابر أمر كان موجودا في الجاهلية، وهو الثأر عندما يقتل الابن شخصا من قبيلة؛ فإنهم يقتلون أباه، أو أخاه، أو مجموعة من أسرته، فأبطل النبي -ﷺ-ذلك بأحاديث؛ منها قوله هنا " لا يجني عليك، ولا تجني عليه ".

- قوله: " وَرَأَيْتُ الشَّيْبَ أَحْمَرَ " هذه الرواية دون الرواية السابقة في وصف الشيب، فقال هناك: " علاه الشيب "، وهنا قال: " ورأيت الشيب أحمر " فهذه تستقيم مع الروايات التي فيها أن الشيب الذي كان في النبي -ﷺ- شيء قليل، ووصفه أبو رمثة رضي الله عنه بأنه أحمر، فهل الحمرة عن خضاب أن أنها عن أثر الدهن؟ فبعض أهل العلم يرى أن ذلك عن خضب، وجاء التصريح بذلك عن بعض الصحابة مثل أم سلمة كما سيأتي وبعضهم يرى أنه من أثر الدهن، وأن النبيً -ﷺ- لم يخضب، كما جزم بذلك أنس بن مالك رضي الله عنه فيما تقدم من حديثه.

- قال أبو عيسى أي: مصنف هذا الكتاب: " هذا أحسن شيء روي في هذا الباب وأفسر "، وفي بعض النسخ: " وأفسره "، وكذلك نقله ابن القيم في الزاد 1/ 176. فمعنى قوله " وأفسره " أي: أكشفه عن حاله، وأبينه لها، ثم علل ذلك فقال: " لأن الروايات الصحيحة أن النبي -ﷺ- لم يبلغ الشيب " أي: أن الشيب الذي كان فيه -ﷺ-كان قليلا لا يحتاج إلى خضاب، فقد يستفاد من هذا والله تعالى أعلم أن المصنف يميل إلى ما رآه أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو أن النبي -ﷺ- لم يخضب.

46- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: سُئِلَ أَبُو هُرَيْرَةَ: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ. ضعيف

47- عَنِ الْجَهْدَمَةِ، امْرَأَةِ بِشْرِ ابْنِ الْخَصَاصِيَّةِ، قَالَتْ: أَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ وَقَدِ اغْتَسَلَ، وَبِرَأْسِهِ رَدْغٌ مِنْ حِنَّاءٍ أَوْ قَالَ: رَدْغٌ شَكَّ فِي هَذَا الشَّيْخُ " الحديث فيه النضر بن زرارة ، فهو مستور كما قال الحافظ في " التقريب 2/ 562 " . وفيه أيضا أبو جناب، وهو يحي بن أبي حية الكلبي؛ ضعفوه لكثرة تدليسه ".

- قولها رضي الله عنها: " أنا رأيت رسول الله -ﷺ- يخرج من بيته ينفض رأسه وقد اغتسل، وبرأسه ردع من حناء أو قال: ردغ " هذا الشك من شيخ المصنف الذي هو إبراهيم بن هارون؛ شك هل هي ردع أو ردغ؟ والردع: الصبغ من الزعفران والورس، والردغ: اللطخ من الحناء ونحوه. فذكرت رضي الله عنها أنها رأت قطعة من حناء مجتمعة على رأس الرسول -ﷺ-، وهذا كما قال بعض الشراح لا يلزم منه أنه خضاب للشيب، بل قد يكون وضعه -ﷺ-للتداوي مثلا ، أو للتبريد ، أو لنحو ذلك .

48- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: رَأَيْتُ شَعْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْضُوبًا.

48- قَالَ حَمَّادٌ: وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ قَالَ: رَأَيْتُ شَعْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَخْضُوبًا. " الحديث في إسناده عمرو بن عاصم، قال عنه ابن حجر في التقريب: مقبول 2/ 423، فحديث مثله لا يقوى لمعارضة أحاديث محمد بن سيرين وثابت وقتادة.

- ثم ختم المصنف رحمه الله هذه الترجمة بحديث أنس رضي الله عنه قال: " رأيت شعر رسول الله -ﷺ- مخضوبا "، وقد سبق بعض أحاديثه رضي الله عنه التي جزم فيها بنفي الخضاب، فيكون هذا الحديث مخالفا لما رواه عنه الثقات، أمثال محمد بن سيرين، وثابت، وقتادة؛ كلهم رووا عن أنس رضي الله عنه جزمه بأن النبي -ﷺ- لم يخضب.

والحاصل أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن النبي -ﷺ-كانت له شعرات يسيرة لا تحتمل الخضاب، كما نقل عن أنس رضي الله عنه وغيره، وبه قال جمع من أهل العلم، وأما ما رئي من حمرة، وظن أنها خضاب؛ فقد تكون من آثار الدهن، أو من آثار الطيب.

شرّفَ اللهُ عزّ وَجَلّ نَبِيَّه -ﷺ- أيَّما تشريفٍ، وكَرّمه أعظَمَ تكريمٍ، وجَعَل الصلاةَ على النبيّ -ﷺ- عِبادةً وطاعة وقُربَة، وأمَرَ الله عزّ وَجَلّ بالصلاة على النبي -ﷺ-، فقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الحزاب: 56].

قال ابن القيم: أَنَّهَا سَبَبٌ لِهدايَةِ العَبْدِ وحياةِ قلبِه، فَإِنَّه كُلّما أَكثَرَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ -ﷺ- وَذَكَرَه، واسْتَوْلَتْ مَحَبّتُه على قلبِه حتى لَا يبْقى فِي قلبِه مُعَارَضَةٌ لِشَيْءٍ مِن أوامِرِه، وَلَا شكَّ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، بل يَصيرُ مَا جَاءَ بِهِ مَكْتُوبًا مَسْطورا فِي قلبِه، لَا يزَال يَقْرَؤُهُ على تَعاقُبِ أَحْوَالِه، ويَقتَبِس الْهُدَى والفلاحَ، وأنواعَ الْعُلُومِ مِنه، وَكلما ازْدَادَ فِي ذَلِك بَصِيرَةً وَقُوَّة وَمَعْرِفَة ازدادت صلَاته عَلَيْهِ -ﷺ-.

المراجع:

1. شرح شمائل النبي -ﷺ- الشيخ عبد الرزاق بن محسن البدر.
2. الدرر السنية.
3. شرح شمائل النبي -ﷺ- د. حسن بخاري.